MINISTERIO DE ASUNTOS EXTERIORES, UNIÓN EUROPEA Y COOPERACIÓN
TRIBUNAL DE OPOSICIÓN A LA CARRERA DIPLOMÁTICA

بغداد: المدينة والتاريخ

بغداد إحدى أعرق مدن العالم الإسلامي، بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور واتخذها عاصمة لدولته، زخرت بالعلوم والمعارف والثروات، وكانت مطمعا للغزاة منذ إنشائها، وهي عاصمة الجمهورية العراقية وكبرى مدنها. اشتهرت بعدد من الألقاب، منها "دار السلام" و"مدينة المنصور" و"عاصمة الرشيد"، كما زخرت بعدد من المعالم التاريخية والحضارية. تتوسط بغداد مدن الجمهورية العراقية شمالا وجنوبا، وتقع على ضفتي نهر دجلة الذي يقسمها إلى "الكرخ" في الجزء الغربي و"الرصافة" في الجزء الشرقي، وتبلغ مساحتها نحو 660 كيلومترا مربعا. بلغ عدد سكانها عام 2023، وفقا لوكالة التخطيط العراقية، 9 ملايين نسمة، وهي الأعلى من حيث عدد السكان في العراق، وتتألف من تركيبة سكانية متعددة الأعراق والطوائف، إلا أن معظم سكانها من العرب المسلمين (سنة وشيعة) والأكراد، إضافة إلى أقليات من المسيحيين والصابئة واليزيديين. كان اليهود قبل عام 1948 أكبر طائفة غير مسلمة في المدينة، إلا أن عددهم تناقص بشكل كبير بعد إعلان قيام إسرائيل عام 1948، وهجرتهم الجماعية إليها.

اختلف المؤرخون في تاريخ تسميتها ببغداد وأصل الاسم، فبعضهم أعاده لأيام حمورابي في القرن الـ18 قبل الميلاد، بينما أعاده آخرون لعهد الملك البابلي مردوخ. يجمع المؤرخون على أن موقع بغداد كان مأهولا من قبل شعوب مختلفة قبل فترة طويلة من دخول العرب بلاد ما بين النهرين، وكانت للعديد من الإمبراطوريات القديمة عواصم تقع في الجوار. يشير المؤرخ العراقي هادي العلوي إلى أنها كانت جزءاً من مملكة سومرية غابرة تدعى "إشنونا" ترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وكان موقعها معروفاً باسم "كلوذا" عند ظهور الإسلام. كما تؤكد سجلات التاريخ أن الاسم القديم لها هو اسم آرامي ظهر في الآثار المسمارية، والبابلية بصيغة (بغددو، وبكدَو، وبكدود)، وورد اسمها على لوح يعود تاريخه إلى القرن الـ18 قبل الميلاد في عهد الملك حمورابي كتب فيه بصيغة "بغدادا"، وفي وثائق أخرى بصيغ مشابهة.

تتالت عليها الحضارات بعد ذلك، ومر عليها الإسلام لكنها ازدهرت في العصر العباسي. أخذ العباسيون بعد قيام دولتهم يبحثون عن عاصمة جديدة لها، واختاروا عدة أماكن في البداية إلا أنهم لم يرتاحوا لأي منها. لذا فكر ثاني خلفاء بني العباس أبو جعفر المنصور ببناء عاصمة جديدة يرتاح لموقعها ومناخها ولولاء أهلها، وبعد بحث طويل اختار تشييدها على موقع قرية عرفت باسم "بغداد" عام 145 للهجرة، وسماها "مدينة السلام."

بيد أن الناس كانوا يسمونها في الغالب "مدينة المنصور" نسبة إليه، إضافة إلى أسماء أخرى منها "الزوراء" و"المدينة المدورة" لحرص المنصور على بنائها بشكل دائري في اتجاه فريد وجديد في البناء، فمعظم المدن في ذلك الوقت كانت تبنى إما بشكل مستطيل أو مربع أو بيضوي. استغرق بناء المدينة أربعة أعوام، ساهم فيها خيرة المهندسين والبنائين، وكان قصر المنصور مركزا لها، يبعد أبعادا متساوية عن جميع نقاط أسوار المدينة الثلاثة، ولها 4 أبواب حديدية مزدوجة سميت بأسماء البلدان المتجهة نحوها، وهي، باب الشام، باب البصرة، باب خراسان، وباب الكوفة.

ذاع صيت بغداد وتطورت مع خلفاء بني العباس في مختلف المجالات، وبلغت ذروة مجدها وعصرها الذهبي في عهد الخليفة الخامس هارون الرشيد، إذ تحولت إلى عاصمة للعلم والأدب والترجمة والفنون، فسبقت عصرها وقصدها طلبة العلم والموهوبون من مختلف بقاع الأرض. كما أنشئ فيها "بيت الحكمة" الذي يعتبره كثيرون أول جامعة في التاريخ، فأصبح مركز ترجمة وتأليف وتدريس،

وخزانة كتب ضمت مؤلفات كبار الكتاب والمترجمين. وبلغت حركة ترجمة الكتب إلى العربية في بغداد أوجها في زمن الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، الذي أجزل العطايا للمترجمين والمؤلفين، فتحولت اللغة العربية في عصره من مجرد لغة شعر وأدب إلى لغة علم وفلسفة. ومن ثمار تقدمها العلمي، بروزها في ميادين علمية مختلفة، فبات اسم بغداد لصيقا باسم عدد من المدارس، كمدرسة بغداد في اللغة، التي نافست مدرستي البصرة والكوفة، ومدرسة بغداد في علم الكلام، ومدرسة بغداد في الخط، وغيرها.

في عام 1258م، دخل المغول بقيادة "هولاكو" إلى بغداد، فاستباحوا كنوزها ودمروا معالمها الحضارية وقتلوا الخليفة المستعصم بالله ومعظم أهلها، كما ألقوا المصاحف والكتب في مياه دجلة حتى صارت بلون الحبر. وتعرضت المدينة بعد ذلك لعدة غزوات: إذ سقطت بأيدي الصفويين في عهد إسماعيل الصفوي عام 1508م، وانشغلوا بدورهم في صراع مع الإمبراطورية العثمانية. وفي عام 1639م عادت بغداد إلى حكم الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الرابع. وفي عام 1917 سقطت بغداد في يد الجيش البريطاني بعد سنوات من القتال مع العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، الأمر الذي سبب تحولا كبيرا في حياة سكانها ومسارها السياسي المعاصر.

ثارت بغداد مع المحافظات العراقية الأخرى ضد الاحتلال البريطاني بما يعرف باسم "ثورة العشرين" للمطالبة بالاستقلال يوم 30 حزيران 1920. وبعد كفاح دام 12 عاما، أعلن مجلس عصبة الأمم عام 1932، قبول العراق عضوا فيه، ونال الاستقلال هو وعاصمته وتحرر من الانتداب البريطاني. وفي 14 تموز 1958 حدثت ثورة أطاحت بالحكم الملكي وجاءت بعبد الكريم قاسم زعيما للعراق، ثم انقلب عليه رفاقه في الجيش يوم 18 شباط 1963 وتسلم عبد السلام عارف الحكم. وبعد مقتله في حادث غريب تسلم الحكم أخوه عبد الرحمن عارف، الذي أطيح به بثورة 17-30 يوليو/تموز 1968، وحل مكانه أحمد حسن البكر رئيسا وتسلم الحكم منه نائبه صدام حسين عام 1979، حتى جاء الاحتلال الأميركي عام 2003. ويوم الأربعاء التاسع من نيسان 2003 سقطت بغداد بيد القوات الأميركية وقوات التحالف، بعد نحو 3 أسابيع من المعارك مع الجيش العراقي، ودخلت في دوامة جديدة من الفوضى والتقلبات السياسية.

اندثر الكثير من الرموز والمعالم العباسية في بغداد مع مرور الزمن، إلا أن روح العصر الذهبي لا تزال حاضرة من خلال مراقد أعلامها، كأبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي، إضافة إلى مراقد أخرى كمرقد الشيخ عبد القادر الجيلاني أحد أبرز رموز الطرق الصوفية، ومرقد الإمام موسى الكاظم أحد الأئمة الاثني عشر وغيرهم. ومن أهم المعالم الموجودة في بغداد المدرسة المستنصرية التي شيدها الخليفة العباسي المستنصر بالله على ضفاف نهر دجلة عام 1233م، وكذلك المدرسة المرجانية الملحقة بجامع مرجان، الذي شيد عام 1357م. كما تحتضن المدينة مجموعة من المعالم الثقافية التي بنيت في العصر الحديث، كجسر الطابقين، ومجسم كهرمانة، والجسر المعلق، ونصب الشهيد، والجندي المجهول، وساحة التحرير، وغيرها.

MINISTERIO DE ASUNTOS EXTERIORES, UNIÓN EUROPEA Y COOPERACIÓN
TRIBUNAL DE OPOSICIÓN A LA CARRERA DIPLOMÁTICA